قصَّة إدريس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

إدريس من الأنبياء الكرام. وهو ابن يارد بن مهلائيل بن قنيان بن أنوش بن شيث بن آدم.

وكان معروفاً عند الشُّعوب القديمة، فعُرف بالعبرية باسم: «خنوخ»، وبالترجمة العربية بـ«أخنوخ»، وعند الإغريق (اليونان) باسم: هُرْمُز، وعند المصريين بهرمس. وقيل عنه: هرمس الهرامسة أي: أسد الأسود. وذكره القرآن الكريم باسم إدريس عليه وعلى نبيِّنا أفضل السلام. وقيل: إنه سُمِّي: إدريس لكَثْرةِ درسه الكتب، وصحف آدم وشيث.

مولده:

اخْتُلف في مكان ولادته، فمنهم من قال: إنه ولد بمصر، ومنهم من قال: إن مولده كان في مدينة بابل من أرض العراق وهو الأرجح، والله أعلم. ثم هاجر من هناك إلى مصر.

وقد نشأ على الورع والزهد ومخافة الله، وأخذ بعلم أجداده شيث وآدم، اللذين كانا على علم ودراية من الله.

وحباه الله بالعلم الوافر، وحينما طغا في الأرض أولاد قابيل، أوحى الله إليه بالذهاب إليهم ودعوتهم إلى الله. فخصَّص لذلك ثلاثة أيام في الأسبوع يأمرهم وينهاهم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث.

ولما لم ينصاعوا للأمر الإلهي، أمر الله نبيَّه بمحاربتهم، فكان أول من امتطى جواداً وحارب في سبيل الله. وكان ذا قوة وبأس شديد، ولذا سمِّي: هرمس الهرامسة.

دعوته إلى الله:

وكانت دعوته إلى الله جلَّ شأنه: أن نهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث. فآمن معه نفر قليل وكفر بدعوته الباقون. فقرَّر الرحيل عنهم مع المؤمنين معه إلى أرض أخرى.

وقال له بعض المؤمنين: أين سنذهب وندع الأرض التي نشأنا فيها وهي مليئة بالخيرات من ماء وخصب ونعيم؟.

فكان جوابه لهم جواب الواثق بالله تبارك وتعالى: إذا هاجرنا لله، فإنَّه سيرزقنا أرضاً خيراً من هذه .

فأطاعه قومه وذهبوا يسيحون في أرض الله حتى وصلوا إلى مصر. فلما رَأَوْا النيل سبّح إدريس لله وسبّح معه المؤمنون على ما أنعم عليهم من ماء النيل، وأرض مصر الخصبة.

وفي هذه الأرض دعا من فيها من الناس إلى عبادة الله كما غيرُهُ من الأنبياء.

وقيل: إنه ساح في الأرض جميعها يدعو إلى التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد. وقيل: إنه كان في زمانه اثنان وسبعون لساناً. فَعَلَّمَه الله منطقهم جميعاً ودعا كل قوم بلسانه. والله أعلم .

ومن تعاليم دعوته أنه: حضَّ على الزُّهد في هذه الدنيا الفانية، ودعا إلى تخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح، وأمر

بالصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والطَّهارة من الجنابة، وحرَّم لحم الحمار والكلب، وحرَّم السَّكر من كل شيء، وأمر بالقرابين. . .

تميُّزُ إدريس:

امتاز إدريس عليه السلام بعدَّة أمور:

1 - كان أوَّل مَنْ امتطى الفرس للجهاد في سبيل الله.

2 - كان أوَّل من نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي. ويقال: إنه أنزل عليه ثلاثون صحيفة.

3 - كان أوَّل من خطّ الخطّ بالأرض وعلَّم الناس تدوين اللُّغات. وليس كما يقال: بأنَّ الفينيقيين هم أول من علَّموا الناس الكتابة؛ بل إدريس. وربما كان الفينيقيون هم الذين نشروا التدوين عبر رحلاتهم البحرية وليسوا هم الذين اكتشفوا الكتابة؛ بل إدريس.

4 - كان أوَّل من استعمل الإبرة وخاط الثياب، وكان الناس قبله يرتدون جلود الحيوانات. فعلّم الناس كيف يخيطون الملابس.

5 - كان أوَّل من عرف علم الفلك، فوضع أسماء البروج والكواكب السيارة.

6 - كان أوَّل من رسم عمارة المدن، وقيل: إنه أنشئت في زمانه 188 مدينة.

7 - كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى إقامة العدل بين الناس.

8 - كان قد اشتهر بالحكمة، ومن الحكم التي نسبت إليه:

أ - خير الدنيا حسرة، وشرها ندم.

ب - السعيد من نظر إلى نفسه، وشفاعته عند ربِّه أعماله الصالحة.

ت - الصبر مع الإيمان يورث الظفر... إلخ.

ذكره في القرآن العظيم:

ذُكر اسم نبي الله إدريس عليه السلام في القرآن العظيم في سورتي مريم والأنبياء. قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 56-57]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85].

وعُرف في القرآن الكريم: أنه كان صدِّيقاً[1]، ونبيًّا، ومن الصابرين. فهذه صفات الكرام من عباد الله.

وقد خصَّه الله تبارك وتعالى بأن رفعه مكاناً عليًّا. والرفعة والمكان العليّ كانت ضمن احتمالين قال بها المفسرون.

أحدهما: أنه أراد رفعة المكانة، بذكره ورفع قدره، بشرف النبوة والزلفى عند الله. وهي رفعة مجازية، بما حباه الله من العلم الوافر في الدنيا، والمنزلة العالية الرفيعة عند الله. مما جعله يتبوَّأ المكان العليَّ عند الله سبحانه وتعالى وعند الناس. كما في قوله تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4].

والثاني: أن هذه الرفعة هي رفعة المكان. وقيل فيها أقاصيص كثيرة مفادها أن إدريس كان له صداقة مع أحد الملائكة، فطلب منه يوماً، أن يحمله ويصعد به إلى السمٰوات. فلما صار في السماء الرابعة التقى هذا

(1) وصدّيقاً: من صيغ المبالغة: أي كثير الصدق.

الملك مع ملك الموت. فقال له ملك الموت: إني لأعجب، إذ أُمرت بقبض إدريس في السماء الرابعة. ومن أين لإدريس ذلك وهو من أهل الأرض!

فما كان من المَلَك إلَّا أن قال: إن إدريس معه على جناحه. فقبض روحه ملك الموت. وما إن نظر الملك إلى إدريس إلَّا وقد قبض. فهذا هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57]. والله أعلم.